Jerash for Research and Studies Journal مجلة جرش للبحوث والدراسات

Volume 23 | Issue 2 Article 60

2022

Steven Pinker's Concept of Violence: between Nature and Culture

Malek Al-Tarawneh
malektarah@yahoo.com

Amer Shatara
amershatara@yahoo.com

Follow this and additional works at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu

Part of the Arts and Humanities Commons, and the Social and Behavioral Sciences Commons

Recommended Citation

Al-Tarawneh, Malek and Shatara, Amer (2022) "Steven Pinker's Concept of Violence: between Nature and Culture," *Jerash for Research and Studies Journal مجلة جرش للبحوث والدراسات*: Vol. 23: Iss. 2, Article 60.
Available at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol23/iss2/60

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Jerash for Research and Studies Journal مجلة جرش للبحوث والدراسات by an authorized editor. The journal is hosted on Digital Commons, an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aaru.edu.jo, marah@aaru.edu.jo, u.murad@aaru.edu.jo.

مجلة جرش للبحوث والدراسات المجلد 23 العدد 2أ، 2022، ص ص 3723- 3742

مفهوم العنف لدى ستيفن بينكر: بين الثقافة والطبيعة البشرية

مالك مصلح الطراونة* وعامر ناصر شطارة**

ملخص

يهدف هذا البحث الى الإجابة عن سؤال العنف من خلال ثنائية الطبيعة والثقافة وذلك من منظور الفيلسوف وعالم النفس التطوري في جامعة هارفارد ستيفن بينكر Steven Pinker (1954-). فهل العنف متأصل في الطبيعة البشرية أم أنه مكتسب ومن الممكن ضبطه والسيطرة عليه. فتاريخ الفلسفة السياسية حافل بالنظريات السياسية التي اتكأت على الطبيعة البشرية والحالة الطبيعية كأساس لتبرير نتائجها. وعلى الرغم من كون الإجابات لم تتجاوز الوضع الافتراضي، إلا انها كانت محور أساسي في تشكيل الفلسفات السياسية وما يتبعها من عقد اجتماعي وإتجاهات سياسية وذلك كون الإجابة عنه تضمن تماسك تلك المنظومة وتعطيها التبريرالذي تنشده. فالطبيعة البشرية وما يتبعها من أسئلة مثل حالة الطبيعة، أسئلة من الصعب الإجابة عنها بشكل نهائي وذلك كون الإجابة (إن وجدت) مرتبطة بتاريخ الانسان الغارق في التاريخ السحيق لدرجة تغيب- تمنع عنه- أي إجابة ضرورية وقابلة للتحقق من صحتها. فالطبيعي يتداخل مع التاريخي لدرجة يصبح من المستحيل البت بصورة أكيدة في الحدود الفاصلة بينهم.

هذا الوضع يعطي لدراسة ستيفن بينكر أهمية استثنائية كونه يمثل محاولة جادة وأكاديمية للإجابة عن أحد أسئلة الطبيعة البشرية ومن دون الوقوع في فخ الحالة الافتراضية التي تمثل الحالة الطبيعية الأولى، والتي ستعتمد بالضرورة على مصادرة ميتافيزيقية بخصوص الطبيعة البشرية، والتي من الممكن أن تطوع نتائجها لبعض الرهانات السياسية ودور السلطة بداخلها. فهل من الممكن البناء على نتائج نظرية العنف العائدة لبينكر لتكون نواة جدية لنظرية عامة حول العنف قادرة على الإثبات والبناء عليها وليست معتمدة على نظرية ميتافيزيقية أو أية آراء افتراضية؟

الكلمات المفتاحية: العنف، الثقافة، الطبيعة البشرية، الفلسفة.

© جميع الحقوق محفوظة لجامعة جرش 2022.

* طالب دكتوراة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن. Email: malektarah@yahoo.com

** كلية الآداب، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن. Email: amershatara@yahoo.com

Published by Arab Journals Platform, 2022

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 23 [2022], Iss. 2, Art. 60

Steven Pinker's Concept of Violence: between Nature and Culture

Malek M. Al-Tarawneh, *Ph.D. Student, Dept. of Philosophy, Faculty of Arts, The University of Jordan.*

Amer N. Shatara, *Associate Professor, Dept. of Philosophy, Faculty of Arts, The University of Jordan.*

Abstract

This paper shed a light on Harvard thinker and linguist Steven Pinker's concept of violence. Although In recent years the problem of defining 'violence' has gained a growing number of interest among philosophers, politicians and sociologists, but they rarely define it.even though most of us believes that violence has intensified in recent years, Pinker argues that we are living in an unusually peaceful time. For him it is a matter of data and the way we looks at that data, as Pinker himself state, "If one bases one's beliefs about the state of the world on what one reads in the news, one's beliefs will be incorrect". This is not because of a distort the truth, but It's because of an interaction between the nature of news it's about things that happen, particularly bad things—and the nature of human cognition.

Steven Pinker's thoughts about violence have established something akin to a contemporary orthodoxy. Part of his argument consists in showing that the past was more violent than we tend to imagine. This "civilizing process" has come about largely because of the increasing power of the state, which in the most advanced countries has secured a near-monopoly of force. Other causes of the decline in violence include the invention of printing, the empowerment of women, enhanced powers of reasoning and expanding capacities for empathy in modern populations, and the growing influence of Enlightenment ideals.

Keywords: Violence, Culture, Human nature, Philosophy.

المقدمة:

يعتقد إيمانويل كانط Immanuel Kant (1724-1804) أن سؤال "ما الأنسان" يجمع في أهميته باقي الأسئلة الثلاث. "ما الذي يمكنني أن أعرفه؟" و"ما الذي ينبغي أن أعمله؟" و"ما الذي أستطيع أن آمله؟" التي أنطلق منها في تأسيس فلسفته النقدية. لكن يبقى السؤال الرابع مهما لأنه لم يتم تسليط الضوء عليه بالشكل الكافي من قبل الدارسين والذي نجيب عنه الأنثروبولوجيا الفلسفية. بينما يرى أرسطو أن الفضيلة الأخلاقية على وجه التحديد تتحصل من اتفاق منتظم. يتم بنائه عن طريق التعليم والتعود. بين الجزء العقلاني من الروح والجزء غير العقلاني. والذي يتضمن حالات الشهية والرغبة والمتعة والألم. نجد كانط على عكس ذلك يعتقد "كتاب أسس ميتافيزيقا الاخلاقية" أن "مبادئ الأخلاق يجب ألا تُشتق من التجربة وذلك بسبب "هشاشة وفساد الطبيعة البشرية" والتي هي أضعف من أن تتبع مبادئ الفضيلة[1]. هذا يعني.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol23/iss2/60 2

حسب كانط، صعوبة توافق رغباتنا بشكل طبيعي مع متطلبات الأخلاق. والمشكلة أنه لا التعليم ولا العادة قادرة حسب هذه الرؤية على خلق إتفاق يمكن الاعتماد عليه بين العقل والرغبة. وعليه فإذا قبلنا بفرضية كانط حول الطبيعة البشرية، فإن فرضية أرسطو تصبح غير ممكنة.

تشكل نظرية "الصفحة البيضاء" Blank Slate والتي أنطلق منها جون لوك في كتابه "مقال في الفهم البشري" 1690 والتي تقول أننا نأتي الى العالم غير مؤطرين بأية أفكار أو صفات فطرية متأصلة فينا وبذلك يكون الانسان أبن بيئته ومجتمعه متأثراً بأبويه ومدرسته وثقافته" النظرية المهيمنة على معظم الدراسات الحديثة حول الطبيعة البشرية والتي انبثقت منها العديد من المذاهب الفكرية مثل السلوكية الصارمة Radical behaviorism، البنائية الاجتماعية Social constructionism، الحتمية البيئية Environmental determinism، والحتمية الثقافية Cultural determinism.

ولكن حسب بينكر، كل هذه النظريات والمذاهب الفكرية قد انتهت صلاحيتها العلمية مع تطور العلوم المختلفة. فالإنسان حسب بينكر ليس مجرد مستقبلات فارغة بل على العكس يأتي الى العالم مجهزاً بمجموعة من الرغبات والاستعدادات والمخاوف الفطرية المعقدة. ويبين بينكر أن الدراسات المعاصرة تبين أن للعامل الوراثي دوراً حاسما للكثير من سمات الانسان السلوكية والتي لا تتفق بمجملها مع فكرة الصفحة البيضاء. والسؤال الجوهري هنا هو أين يمكن تصنيف "العنف"، هل هو متأصل في طبيعتنا البشرية أم انه عائد الى البيئة والثقافة؟ وهل نقد مفهوم الصفحة البيضاء "التي تستبعد أي صفات متأصلة بالإنسان منذ البداية" ستوجه أصابع الإتهام بخصوص العنف الى الطبيعة البشرية؟

هل يتجه العالم الى حالة أقل عنفا وأكثر سلاماً؟ نظرة سريعة لما يحدث بالعالم كفيلة بإقناعنا بالعكس. ولكن ستيفن بينكر وبشكل صادم له رأي مخالف بالرغم مما قد يتراءى لنا جميعا، فالعالم يتجه منذ عصر التنوير إلى عالم أفضل وأكثر سلاماً. فما هي الأسس التي يعتمد عليها بينكر لتفنيد مقولته. تاريخ الفكر الحديث مليء بإجابات صادمة قدمها فلاسفة وعلماء تخالف ما كنا جميعا نعتقد أنه يمثل الحالة الطبيعية للإنسان والعالم من حولنا. فمن غاليلي غاليليو الذي صدم الجميع بكروية الأرض إلى تشارلز داروين في أصل الأنواع والقائمة تطول وتطول.

وصل بينكر من خلال تحليل البيانات الخاصة بالعنف إلى نتيجة مهمة والتي تبين أن نسبة العنف البشري قد تضاءل عبر العقود الأخيرة. ولكن يبقى أحد الأسئلة المحورية التي يجب الإجابة عنها خارج نطاق البيانات هو لماذا كان أدائنا عنيفا بالماضي، ولماذا بدأ هذا العنف يتضاءل؟ ما الذي طرأ على النوع البشري مع تقدم البشرية زمنيا نحو الحاضر وأدى إلى انخفاض نسبة العنف لدينا؟

فقد يكون المنهج الذي إتبعه بينكر بخصوص العنف والذي يتمثل في تحويل الظاهرة إلى بيانات إحصائية غريباً نوعا ما عن مجمل الدراسات التي أخذت على عاتقها فهم وتفسير ظاهرة العنف، إلا أن نتائج هذه التحليلات أجبرت الدارسين المهتمين بالعنف كظاهرة إنسانية إلى إعادة النظر بجدية بمجمل تراثنا المعرفي بما يخص العنف البشري.

قيامنا بدراسة مفهوم العنف لدى بينكر دراسة فلسفية لا ينفصل عن إعادة قراءة تاريخ المفهوم في حقبة الفلسفة الحديثة والمعاصرة عند أبرز المفكرين والفلاسفة، وما يسترعي

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 23 [2022], Iss. 2, Art. 60

انتباهنا هو محاولة بينكر المقاربة بين حدين متباعدين لكنهما متصلين في الوقت نفسه هما: الثقافة والطبيعة البشرية. فالتحليلات السابقة كانت غنية ولكن لربما لاحظ بينكر أنها انزاحت نحو جانب على حساب أخر. كما أنه أراد في بلورة سؤال العنف ضمن هذه المقاربة الفلسفية بما يجيب عن تساؤلاته وبما يضمن تقديم إثباتات علمية تكرس أدوات العلم في خدمة المشروع الفلسفي المعاصر برمته.

ما تصوره كارل ماركس Karl Marx (1818-1883) عن العنف يمكن أن يفيدنا في استكناه مفهوم العنف في الفلسفة الماركسية وكيف يتمثل لديها مفهوم الصراع الطبقي: "فقوة العنف العمياء للعلاقات الاقتصادية إنما ترسخ سيطرة الرأسماليين على العمال"[2]. أما جورج سوريل Georges Sorel (1847-1922) فقد سعى في أفكاره لتوضيح العنف الذي تمارسه البروليتاريا والتي تدافع بموجبه عن كيانها وحقوقها أمام هيمنة البرجوازية وتفردها بمفاصل السلطة وقصرها على فئة محدودة. كما "أن العنف البروليتاري يجبر الرأسمالية أن تبقى ضمن حدودها المادية فقط"[3]. حيث أن البرجوازية تتبنى الرأسمالية كنظام يؤثر في البنى الاجتماعية والسياسية والثقافية بينما تحاول البروليتاريا إبقاءه كنظام ذو بعد مادي فقط. لكن ماكس فيبر Max Weber (1864-1920) يعتقد أن الدولة هي الاستعمال المشروع للعنف. ويعتبر أن ثمة ترابط عضوي بين العنف والدولة الحديثة. وإن الأخيرة هي من منظور سوسيولوجي بحاجة لوسيلة خاصة بالدولة وبالاجتماع السياسي. وإن"الوسيلة هذه هي العنف الطبيعي (الفيزيائي)"[4]. فالعنف حجر أساس في بنيان الدولة الحديثة لدى فيبر وأنها هي صاحبة الإمتياز في تحديد من يحق له استخدام العنف من عدمه. ويقصد بالدولة في أفكاره عن العنف. الدولة الرأسمالية. ويرى فرانز فانون Franz Fanon (1925-1961) أنه بالرغم من أن العنف "خرّب بلا قيود. طرز الاقتصاد. وأشكال المظهر. والملبس. سيطالب به المستعمَر وسيتولاه. في اللحظة التي يقرر فيها أن يكون هو التاريخ"[5]. وكما أن العنف أداة لتحطيم البناءات الاقتصادية والاجتماعية للشعوب المستعمَرة هو أداة أيضا بيد هذه الشعوب لاسترداد كرامتها وتحصيل حقوقها وحماية كيانها من الانتهاك. أما ما أبرزته حنة أرندت Hannah Arendt (1906-1975) عند معالجتها للعنف كمفهوم تمثل بأن العنف أداتي ولا يرتبط بمخططات على المدى البعيد. و"يمكن أن يبقى عقلانيا فقط في متابعته لأهداف على المدى القصير. العنف لا يعزز من شأن القضايا. ولا من شأن التاريخ ولا من شأن الثورات. ولا من شأن التقدم أو التأخر: لكن بإمكانه أن يفيد في إضفاء طابع درامي على المطالب وإيصالها إلى الرأي العام لافتا نظره إليها"[6]. لم تغب فكرة "أداتية العنف" عن أطروحة ميشيل فوكو Michel Foucault (1926-1984)؛ فالعنف ذو طابع علائقي كما هي السلطة. وهنا يمتاز فوكو عن غيره. عندما يُشَرّح علاقات السلطة والعنف. لكن ثمة تباينا مهما يستدعي التوضيح هو أن "علاقة العنف تعمل على الأجساد والأشياء. فهي تجبر وتثني وتضبط العجلة. وتدمر. وتغلق الباب أمام كافة الاحتمالات. دائما العنف يقابل السلبية ويواجه أية مقاومة يمكن أن تظهر"[7]. ويمكن أن نخلص ههنا إلى رؤية فوكو المتمثلة بحساسية دور العنف في جسد السلطة وقدرته على الفعل في الأجساد والأشياء كونه يعمل كشبكة من العلاقات لكن هذا الدور يحمل سلبية مفرطة ولا يستقيم بناء السلطة إن كان العنف أحد ركائزها. أما عالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو Pierre Bourdieu (1930-2002) فقد تبنى مفهوم "العنف الرمزي" وقصد به "أي نفوذ يفلح في فرض دلالات معينة. وفي فرضها بوصفها دلالات شرعية. حاجبا علاقات القوة التي تؤصل قوته. يضيف إلى علاقات القوة هذه. قوته الذاتية

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol23/iss2/60

المخصوصة أي ذات الطابع الرمزي المخصوص"[8]. بينما عالج المفكر الإيطالي جورجيو أغامبين Giorgio Agamben (1942) مفهوم العنف تبعا لحالة الاستثناء التي نظر لها وقد أعاد قراءة مفهوم العنف لدى كل من كارل شميت Carl Schmitt (1985-1988) ووالتر بنيامين Walter Benjamin (1892-1940)، وهو يرى أنه كلما "حاول شميت إدراج العنف في سياق قانوني، رد عليه بنيامين محاولا في كل مرة أن يضمن لهذا العنف - كعنف نقي - وجودا خارج القانون."[9].

دار صراع طويل بين ما هو طبيعي وما هو مكتسب في أروقة الفكر عبر التاريخ، وسنبحث هنا فيما يتعلق بمفهوم العنف في الطبيعة البشرية فلسفيا إضافة إلى أننا سنبحث فيما هو مكتسب إذ يحلينا على ثقافة المجتمعات وكل ما يندرج تحتها من أعمال سياسية واجتماعية، ولتحديد نطاق الاشتغال الفلسفي في هذه المساحة البحثية سنسقط مفهوم العنف لدى ستيفن بينكر على جدلية الثقافة والطبيعة عبر مقاربة فلسفية ابتداء من الفسلفة اليونانية وصولا إلى الفلسفة المعاصرة للوقوف على الحدود الفاصلة للمفهوم إزاء هذه الجدلية وكيف انبثقت الفكرة أساساً عنده وما آلت اليه إثر محاولاته لتقريب الصورة في أذهاننا ضمن مشروع مترابط يستحق التوقف والتمحيص.

هناك اعتقاد سائد بأن هناك علاقة بين طبيعتنا البشرية والعنف، يجعلنا ميالون (بطبيعتنا) نحو العنف. قد يتفق بينكر مع هذه المقولة مبدئيا والتي تؤمن بميلنا نحو العنف إلا أن ذلك، حسب بينكر، لا يعني أننا سنكون دوما عنيفين.

نستطيع القول أن ما جاء به ستيفن بينكر في كتاب الصفحة البيضاء The Blank Slateعن العنف هو نقطة الانطلاق في البحث، فنجد بينكر يأخذ العنف من أكثر من زاوية بغرض محاولة الوصول إلى جوهر العنف، وفهم دوافعه وميكانيزمات عمله، فهو يرى "أنه يجد نفسه متفقا مع فكرة بعض العلماء الراديكاليين الذين يؤكدون أننا لن نفهم أبدا العنف من خلال النظر إلى مورثات وأدمغة الناس العنيفين فقط، فالعنف مشكلة سياسية واجتماعية وليس مجرد مشكلة بيولوجية"[10] وهذا ما يفتح الباب على مصراعيه للنظر فيما جاء به بينكر، فهو يدعو هنا إلى تتبع الجذور الطبيعية والمكتسبة لظاهرة العنف والإلمام بمسبباتها وبواعثها بغية استكناه جوهر هذه الظاهرة وإدراك أبعادها البيولوجية والنفسية والسياسية والاجتماعية.

مما لاشك فيه أن فكرة العنف بمرور الوقت أخذت أبعادا أشمل وتفصيلا أكثر لدى ستيفن بينكر، وهذا يتجلى في كتابه، لماذا تراجع العنف؟ الملائكة الأفضل في طبيعتنا البشرية The Better Angles Of Our Nature: Why Violence Has Declined وهنا نلاحظ أنه ما زال مشغولا بجدلية الطبيعي- الثقافي، ومما يجدر ذكره أن مفهوم الطبيعة البشرية يعتبر مفهوما قارا؛ فقد اتسع وتنقح مرات عديدة عبر التاريخ وأخذ لربما شكلا أكثر نضجا يختلف عما بدأ به في الفلسفة اليونانية.

لا يقبل بينكر فرضية أن الإنسان يولد صفحة بيضاء، وهذه الفرضية كانت رائجة بقوة لدى جون لوك John Locke (1632-1704)، كما أنه لا يقبل بفكرة "الهمجي النبيل" والتي تبناها جان جاك روسو Jean-Jacques Rousseau (1712-1778) والتي تقول بأن الإنسان ولد نبيلا وتحول لهمجي إثر عوامل البيئة التي واجهها، وفي معرض ذلك يقول بينكر أن "نظريات البيئة

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 23 [2022], Iss. 2, Art. 60

المحضة للعنف تبقى مادة اعتقاد، لأنها تجسد الصفحة البيضاء والهمجي النبيل"[11]. وذلك يعني أن رد الأمور للبيئة بمفردها هو تكريس لفكرتي الصفحة البيضاء والهمجي النبيل والتي تدعم أن العنف مكتسب وليس للطبيعة البشرية دور في تحديده.

ما رسخ واختمر في ذهن بينكر مفاده أن هنالك دوافع ومحركات للخير والشر في طبيعتنا البشرية، وهو هنا يقترب من القول بفطرية العنف، بل يقدم طرحا يتمثل بأن هناك ملائكة تحرس أفعالنا لكن شياطين دواخلنا قد تطفو على السطح والتي تدفعنا لأن نرتكب أعمالا قبيحة، فهو يرى أن الإنسان ليس خيرا بطبعه بل إنه مزود بدوافع توجهه بعيدا عن العنف وبإتجاه التعاون والإيثار، كما أنه ليس شريرا بطبعه بل هو مزود بدوافع تدفعه لفعل العنف[12]. هي بمثابة دعوة صريحة من بينكر لفحص معارفنا وإعادة التفكير فيما تشكل في أذهاننا من انطباعات وصورعن العنف من خلال مقاربة تاريخية مشفوعة بأدلة كمية تبرهن على ما تقدم به من افتراضات تظهر تفوق ملائكة طبيعتنا البشرية على شياطيننا خلال فترات زمنية طويلة ومتعاقبة كما أنه يسلط الضوء على نظرية التطور بما أنه عالم نفس تطوري يعزز من أهمية فعل التطور في تراجع ظاهرة العنف.

عند عودتنا للفلسفة اليونانية مهد الفلسفة - إن جاز التعبير - سنجد أن ثمة تأصيل لمفهوم الطبيعة البشرية، وكانت هذه المعالجة للمفهوم ضمن نطاق تاريخي متصل، مما يفيد بأن المفهوم قد أخذ وقتا زمنيا كافيا للنضوج والتبلور بما يرتقي لمرتبة الاقتراب من الفهم لدى المشتغلين في حقل الفلسفة، وسنتوقف لاحقا عند بعض التعريفات التي سنستشف منها أبرز الخطوط العريضة في تحديد دلالات مفهوم الطبيعة البشرية. ولم تتوقف دراسة مفهوم الطبيعة البشرية عند اليونانيين بل إمتدت مع الفلسفة الإسلامية والفلسفة الحديثة، وهذا يدل على أهمية المفهوم في تحديد دور الإنسان تجاه ذاته وتجاه العالم. كما أن الثقافة ستكون موضع بحث في الفلسفة بما هي وعاء يضاف له مما يكتسب الفرد من تجاربه وتفاعلاته في وسطه الاجتماعي، ويلزم تأصيل مفهوم الثقافة لأهميته في تشكيل جدلية الطبيعي والثقافي عبر التاريخ، والتي أثرت مساحات النقاش الفلسفي وأحاطت بالمفاهيم من جوانب عديدة.

يرى أفلاطون Plato (427 ق.م-347 ق.م) أن ثمة صراع أزلي بين الخير والشر، وينطبق هذا الصراع على المجموعات والأفراد، ويكون في أشده بين الفرد وذاته، ومما يجدر ذكره أن أفلاطون يعتقد بأن الطبيعة الإنسانية تتأثر بالمحيط فإن تواجدت فيه قيم الخير، تجذرت في الذات، وإن غابت قيم الخير تتأصل قيم الشر في الذات.[13] وهذا يحيلنا إلى أن قيم الخير والشر مكتسبة في الطبيعة البشرية من الوسط المحيط، لكن العقل ومدى إتساع معارف الفرد له دور في الحد من سيطرة الخير على الشر، إذ "تعود سمة الاكتساب من المحيط لقيم الخير والشر إلى مدى الارتقاء بالمنظومة العقلية للكينونة"[14]. يرتبط الشر والعنف معا في فلسفة أفلاطون، وكما نعلم أن النفس تتألف من القوة العقلانية والقوة الشهوانية والقوة الغضبية[15] وإن تمكنت الرغبات والملذات وهي تمثل - القوة الشهوانية - من السيطرة على بقية القوى في الإنسان، فإنه ستنبثق كافة أشكال الشر والعنف[16].

بينما كان لأرسطو Aristotle (384 ق.م-322 ق.م) رأي أخر، حيث يرى أن الإنسان كائن مدني واجتماعي بطبعه، و"كل دولة هي بالبديهة اجتماع وكل اجتماع لا يتألف إلا لخير ما دام الناس أيا كانوا لا يعملون أبدا شيئا إلا وهم يقصدون إلى ما يظهر لهم أنه خير"[17]، أي أنه يميل إلى

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol23/iss2/60 6

الجماعة وإلى تكوين الأسرة كنظام طبيعي تلقائي وليس كيانا مصطنعا. وهنا يبرز رأي أرسطو في أن الطبيعة البشرية تنزع نحو الاجتماع والمدنية، ويندمج البشر في مجموعات تشكل المجتمع أو- الدولة بشكل أوسع-. كما نستطيع اسكتناه طبيعة الإنسان من حيث ميله للاجتماع والمدنية وذلك يجعل منه كائنا خيرا بطبعه ولا يتواءم مع العنف، والذي يحمل القسر والشدة وإرغام الآخر، فالمدنية والسياسة تسعى إلى تحقيق الخير والسعادة والسلام المجتمعي.

أما في العصر الوسيط يمكن التوقف عند أوغسطين Augustin (354-430) في قوله "فالخير فيَّ أنت صنعته واعطيتنيه والشر من صنعي ومن عدلك"[18]. بغرض فهم الخطوط العريضة لمنشأ الخير والشر في العالم نستدل من أوغسطين على ملخص بالغ الدلالة يوجزه في فلسفته عن الخير والشر، فالخير من الله وهو الخير المطلق والتام عن كل نقص وقد منح الله الخير للبشر، أما الشر فهو من صنيع الإنسان وبمحض إرادته ولم يفرضه الله على البشر بل هم من نزعوا نحوه، كما أن الشر يدفعنا لنبذه لما له من عواقب وخيمة بينما علينا أن نسعد بالخير الممنوح لنا من الله، وفي ذلك تحقيق للعدل لما فيه من إرادة حرة للإنسان (المخلوق) وتأكيدا لتمام الله (الخالق). يقر أوغسطين بصراحة أن حرية الإختيار في إرادتنا هي سبب الشر لدينا، وبذلك فأن أطروحة أوغسطين حول العنف تتمحور في أن الخالق خير في ذاته بينما تكون أعمال الشر والعنف والانتهاك من الإنسان لأنه ممكن الفساد وأحواله تتغير بين زيادة ونقصان ولا تبقى كماهي. أوغسطين يؤيد فكرة الحرب بما هي طريق لتحقيق السلام، لا بما هي وسيلة للفتك بالبشر وممارسة القسر والتعذيب، إذ أن "السلام هو ما يشتهيه الإنسان من خلال الحرب لأن كل إنسان، في حرب يشنها، يسعى إلى السلام، وما من أحد يطلب السلام لا يسعى إلى الحرب"[19]. لجمل ما تقدم حول شرعية العنف والحروب أن أوغسطين برر العنف في حال كانت غايته تحقيق السلام، والحروب تكون شرعية أن ابتغت السلام في مسعاها، يتشابه توما الأكويني مع أوغسطين بالأفكار المطروحة من حيث حثهما على فعل الخير لأن الخالق (الله) خير مطلق وما يصدر عنه من فعل هو خير على الدوام ويعتبر أنه "يوجد شيء هو علة لما في جميع الموجودات من الوجود والخيرية وسائر الكمالات وهذا ما نسميه الله"[20].

العنف في الفلسفة الحديثة والمعاصرة: الإنسان هو من يختار أفعاله

المتعمق في أطروحة توماس هوبز Thomas Hobbes (1588-1679) سيصل إلى أنه كان مقتنعاً بأن أساس الإنسان عنيف ولا مفر من هذه الصفة ولا طريقة لاستئصالها بل يمكننا أن ننزع فتيلها ولكن كيف؟ الدولة تتجه لأن تمتص العنف وتجعله يسري عبر قنواتها الخاصة وليس لأحد حق باستخدامه دون إذنها، فافراد المجتمع تنازلوا للدولة ووكلوها بأن تدير شؤونهم وأن تتكفل بحمايتهم وتوفر لهم حياة آمنة لأن الشعور بعدم وجود أمن يعيش الفرد في ظله يُبقي شرارة العنف قابلة للاشتعال في أية لحظة.

يؤمن توماس هوبز بوجود جذور طبيعية للقوة، وصفها بأنها أصيلة كما وأنه يرى أن هناك قوى ذرائعية، للقوة الاصلية دور في تكوينها، إذ "أن القوة الطبيعية هي بروز ملكات الجسد والفكر الاستثنائية، كما في القوة والمظهر والتبصر والفن والبلاغة والكرم والنبل، والقوى الذرائعية هي تللك التي نحصل عليها بواسطة الأولى، أو بواسطة الحظ"[21]. وبذلك فإن المنزع الفطري للقوة موجود وجود الكائنات ومن ضمنها الإنسان وللقوة الطبيعية دور مهم في تحصيل ما يكتسب المرء ويأخذ طابعا ثقافيا. تبنى جون لوك أن العقل صفحة بيضاء ويرى أن الأفكار مصدرها الحس أو صور المحسوسات التي يعالجها العقل بطريقته الخاصة، وهنا يمكننا القول أنه

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 23 [2022], Iss. 2, Art. 60

يعتقد أننا نولد بعقول خالية من الرموز والأفكار[22] وهذا يعني أن الإنسان كائن تشكله الخبرة والحس وبذلك يميل لأن يكون مكتسبا لسلوكه ولا يأتي معه سلوكه مورثًا. أما جان جاك روسو Jean–Jacques Rousseau (1712-1778) فيرى إنخراط الإنسان في المجتمع المدني بعد قبوله بعقد اجتماعي ينظم شؤون حياته سيفقده حريته الطبيعية وحقوقه غير المحدودة التي تمكنه من حصوله على كل ما يفضله ويكون قادرا على الوصول إليه بينما يكسب من انتقاله للحياة المدنية الحرية المدنية التي تجعله يتملك دون أن يقع في الخطأ عداك عن حريته المعنوية والتي تمكنه من أن يكون سيدا على نفسه يختار ما يتوافق مع إرادته التي تدعه للاختيار[23]. باختصار، روسو يعتبر أن الإنسان يكسب في جوانب ويخسر في جوانب أخرى وذلك لا يعني أن نمط الحياة الحضاري يكون إيجابيا لأنه يختلف مع نمطه الطبيعي الذي انطلق منه.

الثقافة في مواجهة الطبيعة البشرية عبرالعصور

درس أرسطو مفهوم الطبيعة البشرية، من حيث أن الإنسان كائن يقوم على كل من هيولى وصورة، والنفس هي صورة الإنسان، فالانفعالات مثلا تصدر عن النفس والجسم معا، والإحساس يصدر عن النفس بالاستراك مع العضو الخاص بالحاسة، أما التعقل فهو يصدر عن النفس ويرتبط بالتخيل وهو لا يمكن أن يصدر بدون الجسم[24] وبذلك يعتبر أرسطو أن الطبيعة البشرية تتكون من النفس والجسم لا انفصال بينهما وهما مركب واحد لا تصح تجزئته في نشاطات الإنسان.

في تشبيهه للنفس بالعربة ذات الجوادين والتي يقودها سائق، يلخص أفلاطون مضمون طبيعة النفس وما يعتريها من أحوال سواء أكانت من طرف إلهي أم من طرف إنساني، فهو يشبه الجميع وقد تزودوا بالأجنحة، ويرى أن الجوادين أحدهما مسالم ومنتظم الحركة أما الثاني فهو جامح ومتسرع، ففي الأول يمثل النفس بما هي إلهية الهيئة "امتزجت بعالم المعقولات السامية"[25] أما الثاني فيمثل النفس بما هي إنسانية الهيئة، فيعبر جسم العربة عن البدن بينما يمثل السائق العقل، وهذا توضيح لما تعيشه النفس من اضطراب وهو من طبيعتها وفي صميمها، وعلى الفيلسوف "أن يقاومه بكل ما أوتي من قوة حتى يغلب العقل والنظام"[26]. في كتابه"الطبيعة البشرية والسلوك الانساني" يقدم جون ديوي John Dewey (1859-1952) تحليلا مهما لتشريح بنية الطبيعة البشرية وتصنيف ما يمكن أن يندرج تحت ماهو طبيعي، وما هومكتسب، إذ يولي اهتماما للدوافع والعادات وعلاقتها في السلوك الإنساني ويرى أن العادات "تنبع من المناشط غير المكتسبة بالتعليم والتي تكون جزءا مما يوهبه الإنسان عند ولادته"[27]. أما الغرائز والتي يستبدلها بتسمية أخرى هي "الدوافع" والتي يعتبرها فطرية فهي ترافق الإنسان منذ ولادته وتلعب دورا مهما في إعادة تنظيم النشاط البشري وإعادة تقديم العادات القديمة بأسلوب جديد[28].

حتى نقوم بتأصيل جدلية الطبيعة والثقافة فلسفيا؛ نحتاج إلى ضبط معنى الثقافة في سياق تضادها مع ماهو طبيعي والذي يفرض محدداته ونمطه ويحاول أن يمنع ما حصل بالاكتساب والخبرة والتعلم من أن يرى النور ويقول كلمته في سلوك الإنسان. فالثقافة تمثل ما تراكم إثر التجربة والمعرفة بصورة مكتسبة، وما تراكم يستخدمه الإنسان ليواجه به قوة الطبيعة وجبروتها[29]. من هنا نذهب إلى البحث عن المساحات المشتركة والمختلفة بين ماهو مكتسب وماهو طبيعي. الطبيعة والطبيعة البشرية كانتا موضوعا دائما لبحث الفلاسفة ونالتا نصيبا وافرا من التقصي والتحليل لكن مفهوم الثقافة لم يشغل بال الفلاسفة ولم يكن موضع

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol23/iss2/60 8

إهتمام لدى الفلسفة كما هو مفهوم الطبيعة فقد طرح مفهوم الثقافة بشكل مباشر بداية القرن العشرين مع جورج زيمل George Simmel (1858-1918) عمله حول مفهوم وتراجيدا الثقافة، وتبعه بعد ذلك أرنست كاسيرر Ernst Cassirer (1874-1945) بتناوله لمفهوم الثقافة في كتابه "منطق علوم الثقافة"[30].

كلمة "ثقافة" من ناحية اللفظ الإفرنجي هي مشتقة من الفعل colere ومعناه يزرع، أي يحرث الأرض ويرعاها، أما لدى الرومان فإن (شيشرون) يسميها "الطبيعة الثانية" ولا تعني فقط الزراعة بل تعني تربية الإنسان لذاته self-cultivation. أما كلفظ عربي فهو مأخوذ من تثقيف الرمح ويعني ذلك جعله مستويا غير معوج. وقد بقي الجذر الإفرنجي colere حاضرا في اللغات الأوروبية وحمل معنى الزراعة معه لكن الفعل الإفرنجي لم يحضر لدى اليونانيين حيث كان أفلاطون إن أراد الحديث عن ما يحمل معنى الثقافة لدينا يستخدم arête وpaideia[31]. إن استخدام "شيشرون" لما أسماه "الطبيعة الثانية" يشي بالتضاد بين ماهو طبيعي وبين ما هو ثقافي حيث يبرز دور الفعل الإنساني في تكوين الثقافة بما هي نشاط يرتكز على مراكمة ما يمكن أن يكون موضعا للتفكير.

مبدأ التطور لم يغب عن جدلية التنشئة-الطبيعة، إذ يخلص جون دولنغ John Dowling إلى "أن تطورات الدماغ المبكرة تعتمد بدقة على موجهات جينية جوهرية"[32]. وهنا لا يسعنا أن نتجاوز الطبيعي أمام العامل الثقافي لكن دولنغ يتابع في نتائجه "أن ما هو مهم، التمييز أن البيئة والتنشئة لهما دور في المراحل المبكرة لتطور الدماغ"[33]. وما تقدم يظهر دور العلم في محاولة تفكيك الجدلية وتبسيطها باستخدام التقدم الذي لحق بعلم الأعصاب والدماغ كما أن العامل الثقافي المتمثل في البيئة ونمط التنشئة لهما دور لا يمكن التغاضي عنه في محاولة فهم السلوك البشري وما يتضمنه من تصرفات عنيفة.

العنف لدى ستيفن بينكر: محاولة توفيقية بين الطبيعي والمكتسب

قدم بينكر مجموعة مؤلفات غنية بموضوعات فلسفة اللغة وعلم النفس التطوري والعنف، مثل الغريزة اللغوية The Language Instinct والصفحة البيضاء The Blank Slate ولماذا تراجع العنف: الملائكة الأفضل في طبيعتنا البشرية The Better Angles Of Our Nature: Why Violence Has Declined?، في محاولة منه لدراسة طبيعة اللغة وعلاقتها بالبيولوجيا وبالثقافة لدى الإنسان، كما أنه قدم أطروحة بارزة تفيد بأن العنف قد تناقص ونحن نعيش أدنى مستوياته التاريخية، وقد ساق بينكر العديد من الأشكال البيانية كأدلة تدعم فرضيته إزاء فكرة تراجع العنف، ففي كتابه "لماذا تراجع العنف: الملائكة الأفضل في طبيعتنا البشرية"، اكتملت أطروحة بينكر في محاولة فهم الحدود الفاصلة لفعل العنف بين ما هو طبيعي وما هو مكتسب. أثناء قيامه بتفكيك العنف، اعتبر بينكر فكرة أن العنف غير فطري ولا يرتبط بالطبيعة البشرية هي محاولة لإضفاء الشرعية على الإيمان العلماني، أي أنه لا يدعم مبدأ أن الإنسان يولد مزود بمبادئ فطرية، وكيف له أن يحاسب على شيء قدم معه ولم يصنعه هو، وينتقد ذلك بينكر معتبرا أن نزع المبدأ الطبيعي عن السلوك الإنساني بات "العقيدة المركزية في الإيمان العلماني المكرس"[34]. وبهذا فهو يرفض أن يكون الطابع الثقافي بصورة منفردة هو سمة السلوك البشري، وأن العنف لايمكن أن يأخذ شكلا فطريا دون الأخذ بعوامل الوراثة والبيئة. يحاول بينكر إيضاح وجهة نظره بعد عرضه لمواقف المؤيدين لفرضية أن العنف سلوك مكتسب،

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 23 [2022], Iss. 2, Art. 60

يرى في ضوء ذلك أنه لا علاقة يمكن الأخذ بها في حال كان الوالدان يتسمان بالعدوان بأن يكون الطفل عدوانيا، كما أن من يصف التربية الأمريكية بتعزيزها للعنف، ودفع الذكور للهيمنة والتسلط ونبذ النساء هو مخطئ، فلا يمكن بناء علاقة سببية بين التربية والعنف بشكل مستقل[35]. يقر بينكر بأن للفقر دور في العنف، لكنه لا يعتبر حاسما، ولا يمكن تبني فرضية الفقر بشكل مستقل بل هي ضمن مجموعة عوامل تتعلق بالبيئة تساهم في تعزيز وقوع العنف، كما أن توفر أدوات القتل كالمسدسات، لا يعتبر سببا للعنف، ففي فترة عدم وجودها، كانت معدلات ارتكاب الجرائم مرتفعة في مجتمعات كثيرة[36]. يتضح أن بينكر أراد النأي بنفسه عن عزو سبب العنف إلى جذر محدد بعينه لأن جدلية اكتنفته وبذلك حاول أن يصل لصيغة توافقية تقارب بين الثقافة والطبيعة البشرية.

الشياطين بصفتها دوافع الشر في الطبيعة البشرية

بدايةً لابد من تحديد مفهومي الشر والخير، فالشيطان يحمل رمزية الشر والملائكة تمثل رمزية الخير، فهذه الثنائية أشغلت بال غالبية الفلاسفة بحثاً عن جذور الخير والشر، ويتناول بينكر خمسة شياطين ينسب إليها تحريك الشر ونقله من حالة الكمون إلى حالة الفعالية، وهذه الشياطين هي شروط إمكان وجود العنف في فقه بينكر، تمثل دوافع motives من بنية العقل ذاته وهي كما يلي:

أولاً، الإفتراس Predatory violence ويمثل فئة من فئات العنف، وهذا العنف هو عملي وأداتي، وهذه الفكرة تتسق مع فكرة توماس هوبز في السبب الأول للنزاع بأن الهجوم لهدف وغاية، ويختلف هذا الفعل مع مبدأ أيمانويل كانط الأخلاقي القائل بأن الفعل الأخلاقي فعل لذاته وليس وسيلة تحقيقاً لغاية ما[37] ويندرج هذا العنف ضمن العمل الخاضع لمنطق الوسيلة، ومع أن هذا النوع من العنف عملي بحت إلى أن العقل البشري لا يلتزم بما لديه من منطق مجرد بل يميل إلى تقليل هذا العنف بتأثير تطوري وعاطفي أيضا[38] وعليه فإن الافتراس دافع من طبيعة الإنسان لكن هذا الدافع يمكن أن يخضع لمبدأ الاصطفاء الطبيعي ويتم كبح جماحه قدر الإمكان.

ثانيا، الهيمنة Dominance، وهي تتمثل في الرغبة في السلطة والهيبة والمجد والقوة وذلك يكون من خلال إبراز القدرة الفردية للأفراد بين بعضهم كإبراز العضلات المفتولة أو الصراع على التفوق بين المجموعات العرقية أو الدينية أو القومية[39]. يمكن الأخذ بهرمون التستوستيرون كمؤشر على أن الرجال ميالون للعنف أكثر من النساء والذي يكون بكمية لدى الذكور تتراوح ما بين خمسة أضعاف إلى عشرة أضعاف على ما هو عليه لدى النساء[40]. إن امتلاك الهيمنة والتي هي جذر من جذور العنف وتحتاج لقوة بالدرجة الأولى، وتمثل دافعا طبيعيا لدى البشر يحفز من خلال ما يواجه الإنسان في بيئته وما تحركه موروثاته البيولوجية أيضا ولطالما كان الرجال هم السباقون إلى العنف بحكم امتلاكهم إمكانيات بيولوجية أكثر قوة عما هي عليه لدى الإناث ويمكن أن يؤخذ هذا كسبب من مجموعة أسباب لتجيب على السؤال، لماذا يكون الرجال أكثر تواجداً في السلطة أكثر من النساء.

ثالثا، الانتقام Revenge، يتمثل الانتقام بأن تقوم بإيذاء من قام بإيذائك سابقاً[41]، ولا ينحصر في شكل سياسي أو قبلي ولكنه قابل للاندفاع بسهولة من أي عقل بشري[42]. مفاد ما ذكر

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol23/iss2/60

سابقاً حول الانتقام، أنه كامن فينا جميعاً، ويتحرك تبعاً لدوافع إطفاءً لنيران الغل والحقد، بالإضافة إلى أن ثمة اعتقاد سائد أن الانتقام هدوء واطمئنان.

رابعاً، السادية Sadism، حيث تُبنى على شعور الآخر بالإلم وتعذيبه، اعتقاداً من أن ذلك يجلب للشخص المُعذب السعادة والانشراح[43]، فإن كانت الإبادة الجماعية هي الأسوأ من حيث الكم، فإن السادية هي الأبشع من حيث النوعية. إن السادية لا تعود بأي نفع على من يرتكبها سوى التمتع بمعاناة الشخص، وهي تشبه الذوق المكتسب والذي يأخذ مساراً تحفيزياً من قبل الدماغ لكن إيقاف هذا العمل من البداية سيسهم بصورة قوية في عدم حصوله[44]، فالسادية تمثل تهديدا للأفراد وللمجتمعات وتقود إلى مزيد من الإضرار والأحقاد والعنف.

خامسا، الأيديولوجيا Ideology، وهي مسبب من مسببات العنف بصورة أكبر من غيرها، حيث تمثل مجموعة مشتركة من الأفكار لدى فئة من الناس والتي تتحول لعقيدة يمكن توظيفها لتحقيق أهداف مدمرة، وخطر الأيديولوجيا يكمن بصورة أساسية أنها لا تكمن داخل دماغ فرد واحد بل تتعداه إلى مجموعة كبيرة فتصبح جسما واحدا متفقا في أفكاره ومعتقداته[45]، الأخذ بمجموعة أفكار على أنها صحيحة وغيرها خاطئ يكون طريقاً لصراعات واستمرارا للعنف بناءً على أساسات أيديولوجية، فالأيديولوجيا تتقاطع مع المعتقدات الدينية والتصورات السياسية والأفكار الاجتماعية والاقتصادية.

الملائكة بصفتها دوافع الخير في الطبيعة البشرية

بعد أن عرضنا الشياطين الخمسة والتي اعتبرها بينكر هي أساس العنف، بات لزاماً أن نعرض ما طرحه بينكر حول أفكاره عن الخير وما هي ملائكة الخير التي تثوي في دواخلنا، هل تمثل شروط إمكان تحقيق السلام وإحلال اللاعنف في العالم.

يعتبر بينكر أن هناك أربعة ملائكة داخلية تحفز الخير فينا وهي كما يلي:

أولاً، التعاطف Empathy، فإذا شعر الناس بأوجاع غيرهم، يصبح إيذاء الإنسان لغيره وكأنه يؤذي نفسه وهذا من شأنه تقليل اللجوء إلى العنف وإيقاع الشرور بالغير[46]، يؤمن بينكر أن لدى الناس حس التعاطف والقدرة على التفكير في مآزقهم والمشاركة في أفكار جديدة بين بعضهم البعض، وهذه الجوانب الملائكية التي ذكرها أبراهام لينكولنAbraham Lincoln (1809-1856) وهي من طبيعة الإنسان[47]، والتي يؤمن بها ستيفن بينكر ويقدم مدافعا عنها، فالتعاطف ملكة مزروعة فينا تدفعنا لأن نشعر بغيرنا ونضع أنفسنا مكانه في حالة الضرر الواقع عليه وذلك يدفعنا لأن نكون مسالمين قدر الإمكان.

ثانياً، ضبط النفس Self-control، ويمكننا من توقعنا لنتائج ما نقوم به بناءً على دوافعنا المحركة، وبما يسمح بإعاقة اندفاعاتها وفقاً لذلك[48]. العنف هو مشكلة في ضبط النفس، ويعد ضبط النفس من أكثر الضوابط التي ساهمت في التقليل من العنف عبر التاريخ[49]، ويتطلب ضبط النفس أن نتجاوز كل ما هو فردي قائم على نفع الفرد والإضرار بالبقية والقيام بما هو جماعي يخدم الأغلبية[50]، وإنخراط الناس في شبكات مهنية وقانونية حول المجتمع من ثقافة الشرف الذكورية التي تحتم على الفرد رد العنف بالعنف إلى ثقافة التعامل برفق ونبل ضمن إطار لائق وضابط للنفس[51]. إن الإلتزام مع الجماعات مهنياً

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 23 [2022], Iss. 2, Art. 60

وقانونياً من شأنه كبح جماح النفس الفردية وتأطير فعلها بما يتماشى مع البعد عن النهج المحرض على العنف واستيعاب الآخر بعقلانية وتسامح.

ثالثا. الحس الأخلاقي Moral sense، وهو نظام من المعايير والمحرمات تتمثل بالتزام الأفراد بالعدل من خلال الحدس الذي لا يعتمد على الرجوع إلى ما نختزنه من معارف في ذاكرتنا، والولاء للمجتمعات التي ننتمي إليها، والانصياع للسلطة الشرعية، وحماية ماهو محرم، فهو نظام من شأنه أن يفرض مجموعة من معايير للعدالة من شأنها أن تخلق حالة من العنف لأنها تكون عرضة لأن تعقلن أيديولوجيات مبنية على التزمت والقبلية والسلطوية[52]. والمقصود أن الحس الأخلاقي هو نظام مكتسب لدى الطبيعة البشرية يشكل صمام أمان يضبط المجتمع من حدوث أعمال العنف الممكنة لكن هذا النظام لربما يصبح نظام يعزز العنف إن حُمل بأيديولوجيا أساسها استعمال العنف المعقلن لتبرير نشاطات متطرفة تمارس قبلياً وسلطوياً وما شابهها في النهج. يمكن أن تستخدم الأخلاق كأداة للتشهير بالمنافس وإدانته والتعبئة ضده، كما أن العنف لطالما تم تبريره عبر التاريخ تحت غطاء كون هذا العنف هو طلبا للعدالة وليس إرضاء لإشباع الجشع لدى البشر وبالتالي فهو عنف أخلاقي[53]. إذن الأخلاق هي أداة لتحقيق السلم والحس الأخلاقي دافع في الطبيعة البشرية من شأنه توجيه البشر بعيدا عن العنف لكن ذلك لا يمنع من توظيف ممارسة العنف ضد رأي مخالف أو منافس.

رابعاً. العقل Reason، ويقصد به العمليات الذهنية التي تمكن الإنسان من القيام بتحليل موضوع منفصل، وبما أن الأنسان لديه من الملكات ليتعلم ولتفادى أخطائه فإن من غير المعقول أن تبقى حالات العنف ثابتة النسبة[54]. العقلانية هي سمة التنوير وبالعقل والعلم أوصل الإنسان إلى ما وصل إليه من تقدم وحضارة، وللعقل دور مهم في عقلنة المشاكل التي تواجه الإنسان بما يجعلها مشاكل قابلة للحل دون اللجوء إلى وسائل القوة والعنف إن أردنا النظر بنظرة فاحصة وملخصة لفكرة الخير والشر لدى ستيفن بينكر فإننا سنستنتج أن الإنسان ليس خير بالفطرة وليس بشرير بالفطرة كذلك ولكنه مزود بمحفزات من شأنها توجيهه إما صوب الخير أو صوب الشر.

تحليل ومناقشة

يزاوج بينكر بين الطبيعي (الفطري) والثقافي (المكتسب) مع إعطاء أولوية الانطلاق التأسيسي للطبيعي، إذ أن العنف طبيعي بحسب وجود دوافع (محفزات) وموروثات يحمل الإنسان عبرها ملكات وصفات تميزه ويتبلور تأسيس سلوكه في ضوئها، لكن العنف مكتسب من حيث تأثر السلوك الإنساني بما تفرضه عوامل البيئة المختلفة فمنها مثلا ما هي عوامل اجتماعية واقتصادية وسياسية... ويأخذ سلوك العنف إتجاها تطوريا بحيث خضوعه لمعايير اصطفائية عند اختيار القيام بسلوك وترك غيره، وما ينطبق على العنف ينطبق على اللاعنف "السلم"، حيث أن بينكر اعتبر وجود دوافع (محفزات) سماها الملائكة والشياطين تقبع في الطبيعة البشرية ذاتها، فالملائكة هي المسؤولة عن توجيهنا بعيدا عن العنف، أما الشياطين فهي من تدفعنا للقيام بأعمال العنف، يحسب لبينكر أنه حرضنا على التفكير بخلاف السائد والمتداول والراكد، كما أنه لم يمل كل الميل نحو الأساس الطبيعي للبشر بل وازن في أفكاره مع السلوك المكتسب والذي تأثر ضمن سلسلة زمنية طويلة بالعديد من التحولات المختلفة التي طرأت على

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol23/iss2/60 12

حياة البشر. كما أنه يريد أن يؤصل لفكرته حول تراجع العنف بأنها تمت في كنف الليبرالية وليدة عصر التنوير، عصر العقل والعلم والإنسانية، والليبرالية هي مجموعة من الأفكار السياسية التي تأخذنا إلى ما انبثق عنها من أفكار اقتصادية تكثفت وتبلورت في نظام الرأسمالية.

مع أن بينكر ينطلق من الطبيعة البشرية لكنه لا يعطي جانب الوراثة أهمية كبرى، لكن الوراثة تتصل اتصالا وثيقا بالطبيعة البشرية في تقديم تفسيرات لسلوكيات مختلفة، حيث استنتج بينكر أن دور الجينات يتم تعظيمه من قبل الناس في تحديد سبب سلوكياتهم؛ إذ يرى "أن معظم تأثيرات الجينات هي احتمالات"[55] فحالة التوأمين المتماثلين كفيلة بشرح ذلك، إذ يعتبر وجود سمة في التؤام الأول تكون من خلال فرصة واحدة بأن تكون موجودة لدى التؤام الآخر مع أن جينا وراثيا مشتركا يجمعهما. كما أن بينكر يعتبر "أن الجينات ليست كل شيء"[56]. حيث أن تأثير الجينات يتفاوت بحسب البيئة ولا يكون واحدا. مع أن بينكر يستعين بالعلوم كعلم النفس التطوري والبيولوجيا لتوضيح مدى صحة أرائه لكنه يؤصل فكرته فلسفيا بالعودة إلى مفهومي الخير والشر وقد كان لهما أهمية تأسيسية في فلسفة الأخلاق وتحديدا في الفلسفة اليونانية والفلسفة الوسطى، وبذلك يعتبر ما قام به بينكر من تحليل بدلالة مفهومي الخير والشر هي محاولة لتأطير فكرته تأطيرا فلسفيا. كما أنه درس أفكار جون لوك وروسو ونقدها متجاوزها نحو رؤية توفق بين العلم والفلسفة.

يمكن القول إن ما خلص إليه بينكر "أن الطبيعة البشرية هي المشكلة وهي الحل أيضا"[57]، وهذا هو مفتاح فهمنا للذات الأنسانية وكيف يمكننا فهم سلوك العنف في ضوء ذلك. كما قد عاد بينكر ليعيد تأكيد هذه النتيجة بقوله "أن الطبيعية البشرية تحوي عيوبا وفي ذات الوقت تحوي بذورا لتحسين هذه العيوب"[58] مشددا على أن الخلل موجود في الطبيعة البشرية لكن العلاج موجود فيها أيضا.

الهوامش

(1) Wood, Allen W. (1991).*Unsociable Sociability: The Anthropological Basis of Kantian Ethics*. Philosophical Topics, vol. 19, No.(1),(pp 325-351).

(2) ماركس، كارل. (2013). رأس المال: نقد الاقتصاد السياسي، عملية انتاج رأس المال، ترجمة: فالح عبدالجبار، دار الفارابي، مجلد 1، ص909.

(3) Sorel, G. (2004). *Sorel: Reflections on Violence* (Cambridge Texts in the History of Political Thought) (J. Jennings, Ed.). Cambridge: Cambridge University Press, p78.

(4) فيبر، ماكس.(2011). العلم والسياسة بوصفهما حرفة، ترجمة: جورج كتورة، المنظمة العربية للترجمة، ص262.

(5) فانون، فرانز.(2015). معذبو الأرض، ترجمة: سامي دروبي، جمال أتاسي، ط.2، مدارات للأبحاث والنشر ص43.

(6) أرندت، حنة.(1992). في العنف، ترجمة: إبراهيم العريس، ط.1، دار الساقي، بيروت، ص72.

(7) Foucault, M. (1982). the Subject and Power, *Critical Inquiry*, vol.8 No. 4,(pp 777-795).

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 23 [2022], Iss. 2, Art. 60

(8) بورديو، بيير، (1995). العنف الرمزي) بحث في اصول علم الاجتماع التربوي) ترجمة: نظير جاهل، المركز الثقافي العربي، 96، ص5.

(9) أغامبين، جورجيو.(2015). حالة الاستثناء: الإنسان الحرام، ترجمة: د. ناصر اسماعيل، مدارات للابحاث والنشر، ص143.

(10) ستيفن، بينكر.(2018). الصفحة البيضاء، ترجمة: محمد الجورا، دار الفرقد، ص384.

(11) المرجع السابق، ص378.

(12) Pinker, S. (2011) the Better Angles of Our Nature, New York, NY: Viking, P13.

(13) المنياوي، أحمد.(2010). جمهورية أفلاطون، ط.1، دار الكتاب العربي، ص70.

(14) المرجع السابق، ص70

(15) المرجع السابق، ص75

(16) Pacewicz. Artur. (2006). the violence and its causes in Plato's philosophy, *Classica Cracoviensia*, Vol.10.12 -137.

(17) أرسطو.(2009). السياسة، ترجمة:أحمد لطفي السيد، منشورات الجمل، ط.1، ص95

(18) أوغسطين. (1991). اعترافات اوغسطين، الخوري، ترجمة: يوحنا الحلو، دار المشرق، ط.4، بيروت، ص196

(19) أوغسطين.(2007). مدينة الله، يوحنا الحلو، المجلد 3، دار المشرق، الطبعة الثانية، بيروت ص131

(20) الأكويني، توما.(1881). الخلاصة اللاهوتية، ترجمة: بولس عواد، المجلد1، المطبعة الأدبية، بيروت، ص34.

(21) هوبز، توماس. (2011) الليفياثان: الأصول الطبيعية لسلطة الدولة، ترجمة: بشرى صعب وديانا حرب، مراجعة وتقديم: د.رضوان السيد، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ص92.

(22) Locke, John. (1999). An Essay Concerning Human Understanding. The Pennsylvania State University, p87.

(23) سبيلا، محمد وبن عبدالعالي، عبدالسلام. (1991). الطبيعة والثقافة، ط.1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ص21.

(24) ابو ريان،محمد (2014). تاريخ الفكر الفلسفي: الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنسر، ط.1، ص117- 118.

(25) مطر، أميرة حلمي. (2000). محاورة فايدروس لأفلاطون أو عن الجمال، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص25.

(26) المرجع السابق، ص 25-26.

(27) ديوي، جون. (1963).الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، ترجمة وتقديم: د. محمد لبيب النجيحي، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ص113.

(28) المرجع السابق، ص116.

(29) سبيلا وبن عبدالعالي. (1991)، مرجع سابق، ص6.

(30) شطارة، عامر. (2018) جدلية الطبيعة والثقافة في الفكر الحديث: نحو تأصيل فلسفي، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد 11، العدد 1.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol23/iss2/60 14

(31) وهبة، مراد. (2007) المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للنشر، القاهرة، ص230.

(32) Dowling, John E. (2004). *The great brain debate: nature or nurture?*. Photo Researchers Inc., P161.

(33) المرجع السابق، ص 161.

(34) بينكر، ستيفن، (2018) الصفحة البيضاء، ترجمة: محمد الجورا، دار الفرقد، ص371.

(35) المرجع السابق، ص375

(36) المرجع السابق، ص376

(37) Ibid., Pinker, S. (2011), P394.

(38) Ibid., Pinker, S. (2011), p396.

(39) Ibid., Pinker, S. (2011), p13.

(40) Ibid., Pinker, S. (2011), p401.

(41) Ibid., Pinker, S. (2011), p409.

(42) Ibid., Pinker, S. (2011), p410.

(43) Ibid., Pinker, S. (2011), p13.

(44) Ibid., Pinker, S. (2011), p421.

(45) Ibid., Pinker, S. (2011), p394.

(46) Ibid., Pinker, S. (2011), p425.

(47) Pinker, S. (2018). *Enlightenment Now: The Case for Reason, Science, Humanism, and Progress*. Viking. p 56.

(48) Ibid., Pinker, S. (2011), p13.

(49) Ibid., Pinker, S. (2011), p453.

(50) Ibid., Pinker, S. (2011), p454.

(51) Ibid., Pinker, S. (2018). p189.

(52) Ibid., Pinker, S. (2011), p13.

(53) Ibid., Pinker, S. (2018) p39

(54) Pinker, S. (2013), the Decline of War in 54th Annual Convention of the International Studies Association, San Diego, CA, United States.

(55) Ibid., Pinker, S. (2018), P 60

(56) المرجع السابق، ص60

(57) المرجع السابق، ص407.

(58) المرجع السابق، ص 41.

المراجع العربية:

أرسطو، 2009، السياسة، ترجمة: أحمد لطفي السيد، منشورات الجمل، الطبعة الأولى، ص95.

أرندت، حنة، 1992، في العنف، ترجمة: إبراهيم العريس، الطبعة الأولى، دار الساقي، بيروت، ص72.

أغامبين، جورجيو، 2015، حالة الاستثناء الإنسان الحرام، ترجمة: د. ناصر اسماعيل، مدارات للابحاث والنشر، ص201.

الأكويني، توما، 1881، الخلاصة اللاهوتية، ترجمة: بولس عواد، المجلد1، المطبعة الأدبية، بيروت، ص34.

أوغسطين، 1991، اعترافات اوغسطين، الخوري، ترجمة: يوحنا الحلو، دار المشرق، الطبعة الرابعة، بيروت، ص196.

أوغسطين، 2007، مدينة الله، يوحنا الحلو، المجلد 3، دار المشرق، الطبعة الثانية، بيروت ص131.

بورديو، بيير، 1995، العنف الرمزي (بحث في اصول علم الاجتماع التربوي)، ترجمة: نظير جاهل، المركز الثقافي العربي 96:ص5.

ديوي، جون، 1963، الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، ترجمة وتقديم: د. محمد لبيب النجيحي، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ص113.

ابو ريان، محمد، 2014، تاريخ الفكر الفلسفي: الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنسر، الطبعة الثانية، ص117-118.

سبيلا، محمد وبن عبدالعالي، عبدالسلام، 1991، الطبيعة والثقافة، الطبعة الأولى، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ص21

ستيفن، بينكر، 2018، الصفحة البيضاء، ترجمة: محمد الجورا، دار الفرقد، ص384

شطارة، عامر، 2018، جدلية الطبيعة والثقافة في الفكر الحديث نحو تأمصيل فلسفي، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد 11، العدد 1.

فانون، فرانز، 2015، معذبو الأرض، ترجمة: سامي دروبي، جمال أتاسي، الطبعة 2، مدارات للأبحاث والنشر ص23.

فيبر، ماكس، 2011، العلم والسياسة بوصفهما حرفة، ترجمة: جورج كتورة، المنظمة العربية للترجمة، ص262.

ماركس، كارل، 2013، ترجمة: فالح عبدالجبار، رأس المال، نقد الاقتصاد السياسي، المجلد الأول، عملية انتاج رأس المال، دار الفارابي، ص909.

مطر، أميرة حلمي، 2000، محاورة فايدروس لأفلاطون أو عن الجمال، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص25.

المنياوي، أحمد، 2010، جمهورية أفلاطون، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، ص70.

هوبز، توماس، 2011، الليفياثان: الأصول الطبيعية لسلطة الدولة، ترجمة: بشرى صعب وديانا حرب، مراجعة وتقديم: د.رضوان السيد، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ص92.

وهبة، مراد، 2007، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للنشر، القاهرة، ص230.

المراجع الاجنبية

Dowling, John E. (2004). *The great brain debate: nature or nurture?*.Photo Researchers Inc.

Foucault, M. (1982). the Subject and Power*, Critical Inquiry*, vol.8 No. 4,(pp 777-795).

Locke, John. (1999). *An Essay Concerning Human Understanding*. The Pennsylvania State University, p87.

Sorel, G. (1999). *Sorel: Reflections on Violence* (Cambridge Texts in the History of Political Thought) (J. Jennings, Ed.). Cambridge: Cambridge University Press.

Pacewicz, Artur. (2006). *the violence and its causes in Plato's philosophy,* 10.125-137.

Pinker, S. (2011), *the Better Angles of Our Nature*, New York, NY: Viking, P13.

Pinker, S. (2013), *the Decline of War in 54th Annual Convention of the International Studies Association*, San Diego, CA, United States.

Pinker, S. (2018), *Enlightenment Now: The Case for Reason, Science, Humanism, and Progress*. Viking.

Wood, Allen W.(1991). Unsociable Sociability: The Anthropological Basis of Kantian Ethics. *Philosophical Topics*, vol.19, No.(1), (pp:325-351).